سجائر و وحدة

قصص

قصيرة

سفيان حداش

سجائر و وحدة

قصص قصيرة

كتابي هذا مذكرات عن الجنس والمخدرات والنبيذ والسجائر والفقراء والمجانين وكل ما يخطر في البال..أهديه إلى أمي، أهديه إليك يا أعظم امرأة في حياتي لكن، بحق السماء، لن تقرأيه.

أسبوع في المستشفى

إستيقظت باكرا في أحد الصباحات الباردة التي تلي ساعات الصهر الطويلة،أجد نفسي مستلقي فوق سرير متهالك ،فتحت عيني بصعوبة في محاولة فاشلة لأستوعب أين أنا !وماذا أفعل هنا؟حركت رأسي قليلا لأتعرف على الوجوه التي تُحيط بي،في غرفة صفيرة محشور مع عشرات الأشخاص لا أعرفهم ولا يعرفونني ،أظن أنني الوحيد الذي لايعلم ماذا يفعل شخص مثلي هنا؟!

توقف عقلي عن التفكير حينما جلست قربي فتاة جميلة ترتدي ثوبا أبيض كعروسة فر عريسها يوم العرس وتركها،خاطبتني بصوت رقيق"وجد راسك غادخل دابا"..الأسئلة والأفكار المرعبة تتطاير داخل رأسي وتخرج من أذني لتواسي وحدتي وخوفي ،بعد دقائق من التساؤلات وجدت نفسي أسير ككلب عجوز داخل نفق طويل ضيق مظلم،والكل يراقبني في صمت أظن أنها نهاية العالم!إنه يوم الحساب وأنا أول واحدٍ سيحاسب،توقفت بي الممرضة أمام باب ينبعث منه ضوء ساطع،وداخله أشخاص يرتدون ملابس بيضاء ويرتدون أقنعة على وجوههم ،ياارب إنه يوم الحساب حقاً،شعرت بيد نزلت كالصاعقة على كتفي ويخرج صوت من داخل البياض يقول"ماعندك مناش تخاف كلشي غايدوز مزيان وعلى مايرام"،هذه أخر كلمة سمعتها قبل أن أدخل في غيبوبة بسبب الجرعات الكبيرة من المخدر،التي حاول جسمي مقاومتها بصعوبة،

بعد ساعات فتحت عيني مجددا داخل غرفة أخرى أكبر من تلك التي كنت فيها ،يااا إلهي لم أمت ،ها أنا مازلت أتنفس داخل هذا العالم ،عجزت عن تحريكي جسدي، حتى فمي لم أستطع فتحه،كأنني داخل إسقاط نجمي طويل المدى أخدني للأعلى لأراقب العالم في صمت، محاولتي المئة لأنهض أو أصرخ كلها كانت فاشلة،لا أحد يستجيب لي،ولا أحد يهتم بي ك زجاجة بيرة مرمية على قارعة الطريق ،حياتي توقفت لدقائق بدأت في التأمل ،أتأمل نفسي والكون والعالم ،أتأمل تدافع الناس وصراخهم ونقاشاتهم في مواضيع غاية في الخرااء ،الأشخاص داخل هذه الغرفة لايؤمنون بشيء إسمه الخصوصية،يحشرون أنفهم في أي شيء...

وفي لحظة من التأمل والتفكير والعجز الطويلين يقطعهما ألم من جسدي ،جرس إنذار يُعِيدني للواقع ،كأن سيارة دهستني وتعيد دهسي مئات لمرات،حينها تتجه ممرضة نحوي ،لم تكن جميلة ك التي أتت عندي فالسابق،أخرجت إبرة من جيبها وأدخلتها في يدي ودهبت ،وهي تنتظر من أحد أن يُعطيها بضعة دراهم لتعود مرة أخرى لتطفئ جرس إنذار جسدي..

أفكار شيطانية

أجلس كفيل متعب، أصارع فكرة شيطانية في رأسي لا أدري من أي جحيم أتت، فكرة أنني قد أكون أحمقا في أية لحظة، الان ،بعد ساعة، يوما ما...الأمر مخيف جدا ،ثيروس لعين ينخر جمجمتي،لا يدعني أركز،أو انام،ولايدعني أتحدث كالجميع أبدو كأحمق هربت منه الكلمات وكسر الزمن ماتبقا من فمه وقطع الحزن لسانه،والمؤسف في هذا أنني لا أستطيع الكِتابة،أمر مؤسف ،أبناء زانيات سيفرحون لهذا ،لايحبون كتاباتي ويدعونني بالأحمق الجبان...خخخ حسنا.

القنينة الفارغة كانت تسخر مني، رميتها بعنف وارتطمت برأس قط كان ينام في الركن !لا يهم،أنا لا أحب القطط أصلا ،حيوانات غبية..

جلست على حافت السرير أطلب الغفران، لقد أرهقتني الحياة بما يكفي ولن أقبل الرفض بعدا الأن،أريد العودة لقبري حيت أنتمي،القبور عنيدة بطبعها، باردة كمهبل العجائز، ورفضتني، وبقيت هناك، على حافة القبر أنتظر وأنتظر...

في هذه المدينة الأثمة، لم يعد هناك مشروب في الحانة يروي العطش، أشرب لمجرد أنني مدمن، أخرج إلى الشارع وأمشي دون أن أتمايل،مجموعة من المتسولات يغنون أمام محطة القطار، أقف كشيطان لأتفرج، ثم جلست أصغي في يأس تام، أفكر في طريقة لسرقة النقود الصفراء التي جمعتها تلك المخلوقات،شعرت بالغثيان لمجرد أنني قد فكرت في سرقة هاته الدمى، يجب أن أعود إلى الحانة، دقيقة واحدة مع هاته الأحجار المترهلة ألفت ساعات من الضحك،حدقت كثيرا في المتسوالت ورحلت، عشرات الدمى ترتطم بكتفي وأنا أسير كسلحفاة بلغت الخمسين سنة، لم أنزعج، كنت أشعر كما لو أنني أعرف كل شخص كان في الشارع، فجأة بدأت أحلم حلما جميلا وأنا بعينين مفتوحتين، التقيت بها في نفس الزقاق تمكنت من شمها، من معانقتها، لكنها رحلت عني بسرعة وعادت الشفقة الذاتية مجددا،وعدت لبيتي لأعانق سريري المتهالك مرة أخرى.

15/03

مرحبًا أيُّها العالم:

في مِثل هذا اليوم، قبل سنين، طرقتُ باب الدنيا علي أنها خير من دفء أمي. فاستحوذتُ على الخامس عشر من مارس من كلِّ سنة، أو رُبما استحوذَ هو عليَّ.. ما يُسمونهُ "عيد ميلاد" ، حسنًا، لا أجِد أي بوادرٍ للعيد في ميلادي، إنما لا بأس.. لا بأس في تجديد .ذكرى المأساة في كلِّ عام أيُّها العالم، أتيتُكَ ، ضعيفا، خائفا، واليوم أجدني قوياً مهلكَاً أو مُهلِكاً نفسه، بقلب مكسور لا يخاف أبدًا،يبدَو أننِّي مازلتُ وحيدا .

إنه متتصف الليل، ملاك الموت قد كتب قبل قليل في دفتره المتسخ بالزيت والدماء والمني أن المدعو سفيان قد أكمل عاما أخر في هذه الحياة ، حاله لم يتغير، صفر درهم، صفر أحلام، صفر خطط! هذا بالإضافة الى أنه ما يزال يعيش في المغرب!
كتب هذا بابتسامة ماكرة ثم أضاف ملاحظة صغيرة في الأسفل: رجل آخر لا يحترم نفسه!أغلق الدفتر ورماه جانبا ونام.

إيناس

صادفت صباح اليوم، قرب الكلية، إيناس الفتاة التي أحببت طيلة سنوات الإبتدائية والإعدادية،رأيتها من بعيد، شامخة وجميلة.كانت ولازالت تزداد جمالا وأناقة، ركنت سيارتها بمحاذاة المقهى، كنت أستعد للدخول للمقهى، التقت نظراتنا ونادتني:

-سفيان سفيان {وأشارت لي بيدها

عجبا لازالت تتذكر إسمي
-إتجهت نحوها وألقيت التحية مع إبتسامة عريضة.

-ههه لم تتغيرْ،ما زالت تملك شعرا كثيفا فوق رأسك،ومازلت تربط حاجبيك كرقم ثمانية عندما تتحدث مع شخص ما.

-خخخ أضن أنكِ كنت تحبين شعري هكدا،وأنا من كنت أصف حاجبيك برقم تمانية عندما أراك غاضبة مني لأتفه الأسباب.وأنت مازلت تحبين إرتداء مثل هذه الملابس، وما زلت تحبين ارتداء أحذية الكعب العالي، ألم تضجرِ من صوتها المزعج بعد؟
- تعال تعال، لنجلس.

لمحتُ وأنا أنتظر إخراجها لحقيبتها من السيارة وجود كرسي الأطفال في الخلف. كان هذا أول شيء نتحدث فيه بعد أن جلسنا وطلبَتْ شوكولاطة ساخنة وطلبتُ قهوة سادة.

- لم تكتفِ بالزواج فقط، بل أنجبتِ أيضا !
- لا تُذكرني بخطيئتي. دعك من هذا، ماذا تفعل؟ كيف سارت حياتك؟ كم من "التيتيزات" حضيت من بعدي؟

راوغت كل أسئلتها، وتجنبت فخاخها كالعادة. ذكرني كل هذا بجدالاتنا قبل سنوات، كيف كنا نتجادل على أدق التفاصيل وأتفهها. عرفت أنها تطلقت قبل سنة ولديها طفل في الثالثة، وتقطن الآن بالقنيطرة هي وطفلها أنس.

غادرتْ لتحضر محاضرة بعد أن تركت لي رقمها. ورحت أراقبها حتى اختفت بين حشود الطلبة.

ليالي الحانة

تطأ قدمنا باب الحانة كما تطأ باب المسجد بكل افتخار وسعادة عارمة ، فتتلى على مسامعنا كلمات براقة من الطرب الأصيل توحي بسهرة طويلة على متن سفينة البار ربانها الساقي ومظيفتها راقصة جميلة ، نتجرع الوهم راضين عنه بشغف نحتسي ما تيسر من النبيذ مع وجبة عشاء خفيفة ثم نقرع كؤوس الويسكي بعد دوران الرؤوس ، الساعة تشير إلى التانية عشر ليلا تخفض درجتين من الأضواء الملونة فيضحى المكان شبه مظلم وكذلك حديث الندماء لا يتعدى طاولتهم ، جرعة وراء جرعة بعينين مغمضتين إلى أن باتت كل الطاولات ممتلئة ومعها الكونطوار فوق رغبة في عناق حياة كنا نعتقد حينها أنها عاهرة..

إنها الثالثة صباحا وها أنا أشق طريقي بين دروب المدينة لوحدي ك كلب شوارع تائه يبحث عن رصيف ينام فيه ،عائدا من الحانة الفقيرة الشبيهة بمقبرة هجرها أمواتها ...المليئة بالمختلين واللصوص والمرضى وغالبا ماتنتهي جلساتهم بحضور الشرطة وهنا تبدأ المطاردة بين دروب هذه المدينة حتى أنك لاتعلم أين تدهب المهم هو أن لايمسكك "العلوي" ...حدائي الرياضي فيدي وجواربي التي كانت بيضاء عند خروجي من المنزل أصبحت الآن سوداء ومليئة بالثقوب كجيبي .. وبعد وقت طويل من الجري جلست فوق أحد الأرصفة لأخذ نفسا عميقا وأكمل الجري نحو منزلي ...لحظات تأمل قاطعني فيها صوت أحد المرضى فوق الرصيف "شي گارو اعشيري" أفرحني صوته أكثر ما أفزعني وقلت مع نفسي"لقد رأني !!إنه ليس العلوي لاكنه أسوء منه إن هاؤلاء المرضى أخطر من الكلاب الضالة فوق الدراجات يصطادون المجرمين ..."وقفت في صمت وأنا أرتدي حدائي وأكملت الركد غير مهتم بصراخه خلفي ،وقلبي يؤلمني بكترت الجري" تباا هذا الخمر الرخيص أضعفني ..تباا هذا القرف لايصلح لأن أقول عنه خمر إنه ماء مرحاض عفن لسيدة عجوز أكملت البارحة 100 عام من الشقاء.."

وها أنا بعد طول إنتظار وصلت إلى "الحومة" التي أميزها حتى لو كنت مخمورا صوت الكلاب تتصارع مع بعضها لأجل لاشيء ،وصوت موسيقى "الشاب بلال" مصدرها بعد الحمقى والمخمورين تملأ المكان ولا تدع أي أحد ينام هاؤلاء الحمقى لايعلمون فوائد النوم ...أمشي متخاترا ممزقا منتصرا في إتجاه الباب أفتحه وأدخل وأرتمي في حضن سريري ولاكن للأرق رأي أخر إنه يمازحني شخص مخمور هارب فالأزقة حافي القدمين تعب قلبه ..ومازال لايستطيع النوم!! وصوت الجردان تنهش في سريري والبعض الأخر ينهش ما تبقا في طبق عشاء الأسبوع الماضي ،ومع دلك أغمض عيني وأبتسم وأقول "غدا سيكون أ ق*ود"

أشعر بأنني متأخر دائما،لدي ساعة في جدار الغرفة،أغادر السرير بهدوء حتى لا أوقظ عائلة الجرذان التي تنام تحته،أرتدي حذائي لأخفي جواربي المثقوبة،أدخل البار متأخرا ،أبحث عن مكان مظلم في الزاوية كعادتي،أجلس بهدوء في طاولتي الوحيدة كعاهرة تركها الجميع،أخرج سيجارتي وأدخنها في هدوء كطفل صغير يلعب ،أطفئو أضواء الحانة ،الهدوء يسود المكان،أصوات قبل وكؤوس تتصادم في لوحة فنية تشبه الموناليزا،يقف النادل ويضع لي زجاجة بيرة فوق الطاولة وينصرف بهدوء ،يعلم جيدا أني لا أملك ثمنها ولاكنه لايستطيع طردي لأنه يحترمني أو أثير شفقته لا أعلم،ولاكن من يأبه لي ..

شهر مارس لعين ،شهر ميلادي وهذا أكبر دليل أن الرب قد أنزل به لعنة لكي يسخر مني،أصبحت شاحبا وكئيب،مخلووق مجعوور وتائه لا يعلم أين يذهب،أكمل زجاجتي يقف فوق رأسي النادل ويبتسم في صمت، يخرج صوت من داخلي أقول له "سأدفع غدا"ويتنهد ويذهب في حيرة .لا بأس ماهدف كل كتاباتك وأنت لاتقدر حتى على دفع ثمن زجاجة نبيذ رخيصة.

انسابت موسيقى العيطة إلى كل جنبات الحانة،تقرع طبل أذن كل الرواد المخمورين وبائعات الهوى،والساقيات وكل حاطب ليل مسروق من زمن بدوي منغمس في رشيم الحقل ، أطباق أكلت وقارورات فرغت ودارت الرؤوس من دوران الكؤوس تحت وطأة الهوى والزهو. قبعت في طاولتها المعتادة في أقسى يسار البار قبالة الكونطوار وعينيها على باب الدخول وكأنها صاحبة المكان تراقب كل شيء بنصف عين وحاجب مرفوع كرقم ثمانية ، تنفث دخانا كثيفا دفعة واحدة تمضغ به أفكارها المبعثرة ، تحييني بكأس نبيذ مملح فأبادلها التحية بكأس نصفه مملوء بالماء والأضواء تملأ نصفه الثاني ،وأعقاب سجائر متهالكة أنفث منها ماتيسر لرئتي إستيعابه، فمنذ أن كتشفت هذه الحانة وجدتها من الرواد المترددين لها وأجملهم ،فباتت علاقتي بها كسماء يتمنى الكل الوصول إليها ، فلا هي تعرف عني شيء ولا أنا فتحت لها باب عالمي..

الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، صفقات تعقد في ثوان ومشاعر تتأجج في دقائق ، هذا يشرب والأخرى ترقص وذاك يغازل تلك ، يتجرعون الوهم ويشترون السراب ، ترجلت خارجا لهنيهة بعدما شعرت برائحة الخمر تسري بين عروقي كتخذير طبي ، استنشقت ما طاب لي من هواء طبيعي بعيدا عن الكتلة الزائفة كضباب يغطي الجميع ، ثم عدت إلى نفس المكان لألقي أخر نظرة لي على الجميلة وأودع الحانة كأنها أخر ليلة لي هنا .. هذه عادتي دائما شعور ينتابني من شهور أنها أخر ليلة لي فالعالم ..ربما في طريقي للمنزل تصدمني سيارة وترميني في جانب الطريق ككلب تخلو عنه ،أو ينفجر قلبي ورئتي من هول دخان سجارتي الرخيصة ،أو يقتلني شخص مجهول فالشارع ...تخيلات أترنح معها فالشارع وتصطحبني ككلب وحيد مكسور لمنزلي لأعانق سريري مرة أخرى...

الساعة تشير إلى منتصف الليل ، هدوء غريب يتسلل إلى كل جنبات الحانة ، اتضحت الرؤيا بعدما كان المكان يعج بضباب غائم من فرط دخان السجائر ، كل الرواد ترجلوا من البار وغابوا عن الأنظار في وقت حلى فيه السهر وطل القمر ودارت الرؤوس من دوران الكؤوس ، وبقيت لوحدي أحتسي ما تيسر لي من الجعة وأنفث دخانا كثيفا دفعة واحدة ، جرعة وراء جرعة بعينين مغمضتين حتى راح عقلي تماما ، وقعت آخر فاتورة لي وليتها لم تكن الأخيرة،خرجت مترنحا كسولا أمشي بين شوارع المدينة الفانية أبحث عن نفسي ،أنا والكلاب فقط في الشارع نمشي خطوات متفرقة يراقبونني بهدوء ،يهابونني يضنوني مسخ،بعد ساعات من المشي لا أعلم أين سأدهب أسوار المدينة عالية وأسوار نفسي أعلى ،مسجون إلى أن أجد مفتاح حريتي...

سعاد

تسربت أغاني الشعبي في جنبات الحانة تقرع أدن الرواد وغرائزهم،أطباق أكلت وقارورات فرغت ودارت الرؤوس من دوران الكؤوس تحت وطأة الهوى والزهو.

الساعة تشير الى منتصف ليل صعدت سعاد على متن منصة عريضة تحرك مؤخرتها بشكل مستدير وتلعب بصدرها المتعفر طالقا عنانه حول عنقها إلى حد أن ظهر مفرق ثدييها ، سالف يتطاير وآخر لم يتحرر من ربطته بعد بغرض لفت الانتباه ، إكراميات تصب عليها من السماء من حيث لا تحتسب بعدما حركت مشاعر قلوب منسية مدفونة في بئر "لبغو" ، تستعرض مؤهلاتها الجسدية بحركات مثيرة جاذبة للحب أكثر من الغريزة ، تخبر بها العالم أن لا جمال في نساء العالم غير المغربيات...

سعاد الجميلة حركت مشاعر كل الحاضرين وتعلقو بها جميعا لفرط جمالها وطريقة رقصها وتحركها فوق الخشبة،أراقبها من زاوية الحانة وفيدي سيجارة متهالكة تشتعل بحرقة وزجاجة بيرة أحتسي منها ماتيسر وأحرص على ألا أنهيها حتى لا أطر إلى المغادرة ككلب مطرود لم ينتشي بعد ،لم تراني "سعاد"أنا مسخ مختبئ لاينتبه له أي أحد من الحاضرين فالبار هي تبحت عن "الحاج مول الشكارة" تطوقه بذراعيها وتتحسس لحيته بكفها وأصباعها المصبوغة أظافرهم وقسمات وجهه وصدره المشتعل بشعيرات ملتوية ، ثم تجر فستانها إلى الأعلى ليظهر كل ما يريده الرجال ، ولن تبتعد منه حتى تغرقه في منيه...

الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل ،ترجلت خارج البار بعد ليلة مليئة بالزهو والنشاط وموسيقى الشعبي تطرب الرواد ،خرجت لأعانق المطر في شوارع المدينة المنكوبية،المطر يضيف جمالية لأزقتها الموحشة،القذرة ...أتجول وحيدا ككلب بائس تركه صاحبه ليواجه العالم وحده،سيجارة في اليد أحرص على إخفائها من المطر ،ملابس مبتلة وعقل يدور ك الكؤوس المليئة بالخمر.

أُمي

كنت أشعر بالغربة تجاه أمي؛ إنها لا تفعل أي شيء دون أن تستخدم يديها، حتى عندما يتعلق الأمر بحزني، تطويه وتضعه على أحد الرفوف وتذكرني بأن الله لا ينسى أحدا. كانت إلها بطريقة ما...

كانت تظن أمي دائما أنني لا أتأثر مثل بقية إخوتي والأقسى قلبا وأقلهم إحساسا، هكذا كانت تظن أمي بي، لا لشيء إلا أني كنت أريد أن أكون كتوم فحسب ،ربما لو أدركتي يا أمي أيامي هذه لكنتِ تدركين أنني أضعفهم جميعا وأحوجهم للشكوى والأستناد ولكنني لا اريد أن أكشف عورة حزني لإي احد مرة اخرى.

أبريل

على وتر الاحلام،اعزفي لي أغنية لتهز روحي،غردي
واطربي طبول اذناي فلتدعي الأنغام والنوتات تتسرب
رويدا رويدا الى ان تصل الى عمق النخاع،لتفيض روحي
هيجانا معلنة عن حبنا الأبدي وحياتنا الازلية ،فلتترقرق
ارواحنا في غمرة من الأمل والشوق لتهدم أركان الاحزان
والمآسي..تحت القمر المشع تبادلنا الأنفاس بعبت،
تمنيت لو الزمن توقف وأنا أداعب شفتيك الورديتين
بشغف،لأصبح كقصيدة تشاجرت الأحرف مع بعضها،ثم
ضاعت فضاع معها العنوان..جميلة أنت يا أبريل
كالسلام في عيون شعب أنهكته الحروب والمآسي

نخبك ونخب الكاسات التي اسكرتني نخبك يا أبريل اشتقت للكتابة عنك لم نعد كما نحن لكن لم نقطع الوصال بينانا نلتقي نهدي السلام نتحدت اعانقك في خيالي و نحب تم نحب ويزداد الحب عن اللآزم لقد ابتعدنا عن بعض لكن لم انسك ولم انسى اني احببتك فنخبك ونخب الايام والاعوام ونخب الحب نخب الذين حدثوني عنك بسوء ونخب الذين حدثوك عني بسوء نخب الذين عندما حدثتهم عنك قالو طال الله في حبكم نخبي انا ونخب القنينة التي بجانبي والكاس في يدي ونخب القلم صديقي ونخب كل من مرى من هنا للقراءة.

تعالي معي يا أبريل الى المنزل المهجور،سننام هناك على العتبة.سيصلب كل منا يديه على صدره وننام.

واليأس يا أبريل مأزقي،لقد حبست أنفاسي بضع ثواني،لو كنت قادرا على الموت لمت عند غروب الشمس حين تبدأ شجرتي المجنونة أغنيتها البائسة.

سنجعل أحزاننا في كومة واحدة كبيرة، ونحرقها بالولاعة،نحرق أيامنا التي مضت والتي ستمضي،نحرق أفعالنا التي فعلناها في حديقة المنزل المهجور، نحرق الماضي والمستقبل أما الحاضر هو هاته الولاعة وتلك الروح التي تتنفس داخلك يا أبريل، سنلقي بطفلنا الذي مازال في أحشائك إلى الحياة يوما ما..

من السهل أن لا ينهض الواحد أبدا من مثل هذه النومة.

لكننا سننهض..سننهض من أجل روحي ...

حروفي ترتعد في غرفة نومك يا أبريل..

لتصبح المسافات بين روحينا اطول من ان نطويها..فلتخبروها انها الشريفة العفيفة بين المئات،حبي لها يروى أساطير وحكايات ..لنختفي بعيدا من هذا العالم البئيس..بعيدا لنستوطن السحاب والنجوم لتشهد الكواكب والمجرة بحبنا الأزلي ،سنغوص في سيمفونية النجوم اللامعة البراقة

لم أكن أعلم -قبل مجيئك- أن الضحكة قد لا تكون شكلا تعبيريّا فحسب، وأن ضِحكةً مثل ضحكتك، تستحق عمرا كاملا من الإنصات، وأنه بمجرّد أن يميل ثغرك الأحمر، تتحوّل الدنيا، كل الدنيا، إلى ربيعٍ أخضر..

في العالم،هناك ملايين النساء أجمل وأدكى وأكثر إثارة منها..
ولاكن كل ذلك لايعني شيء طالما هي التي لامست قلبي.

خيالات فاجرة

أحتاج إلى أن أرتمي في حضن جسدك الرشيق والمثالي
،وقبلات من شفتاك الورديتين تتوزع داخل صدري
وتغمرني لهفة تدوق مابين فخضيك،وأنشغل بتفاصيل
جسدك المنحني و بشعرك الحريري الطويل، حتى تلتف
الساق بالساق وتتحد أجسادنا وأرواحنا تحت ضوء القمر
المنير ..وننهي ليلتنا بحمام بارد بماء المطر..
تمنيت لو العالم كله يرانا لاكن حبنا لن ولم يعلم به
أحد.

كم أشتاق إلى مداعبة خصلات شعرك الأحمر
الحريري وأتسرب عبر تفاصيل جسدك الإلهي
كقطرة مطر على زجاج نافدتي لأستنشق بشغف
رائحة عطرك واتدوق جمال مابين فخضيك....

الليلة الماضية لم أستطعْ أن أنامَ لوقت طويل، فاستلقيتُ هناك لمدة ساعتين وأنا أقربُ للصّحو أكثر من النوم، وبشكلٍ غير منقطع كنتُ في أكثر الأحاديث حميميةً معكِ، لا شيءَ محدّد كان يدورُ بيننا، لقد كان مجرّد شكل من أشكال الحديث الحميمي، شعور بالقربِ والتّفاني..

يوجد في أسفل ظهرها وبالضبط على الخد الأيمن من مؤخرتها وشم فراشة. رأيت تلك الفراشة بعد أن خلعت سروالها الداخلي الشفاف لترميه جانبا على الأرض، ثم طبعت قبلة على جبهتي. وأشارت إلي بأصبعها الذي عادة ما نستعمله للتشهد، غير أنها تستعمله لعبادة آلهة الحب، طالبة مني أن أتقدم نحوها. بعد أن تحركت غصبا عني وكأن سحرا تملكني، جردتني من ملابسي وجعلتني حديث الولادة من جديد. ثم قادتني الى الحمام أغتسل للمرة الأولى في كنيستها بمائها المقدس. لمستني بيديها الناعمتين وياليتها لم تلمسني، فقط أيقظت وحشا نام أبد الدهر بدون أمل له في الإيستقاظ. وهاهي الآن توقظه بلمسة من رؤووس أصابعها التي تتراقص على أضلع صدري. تحسست مملكة ثدييها، فإذا بي أجدني أتنفس عطر أزهار نمت في تراب جلدها وأمتص من ينبوع حلمتيها كل ما تشتهيه الانفس. إستشعرت رئتها تتنفس ببطئ وكأن روحها قد زارت للتو يد الله الملطخة بدماء العالمين. هي سيدة نفسها. وعشقتها لساديتها وسيادتها، وبجاذبيتها وأنوثتها. ملكتني وتملكتني بكل ما تملك من قوة وجبروت. جعلتني عبدا لصرخات ليس لها صدى، وكلمات لا معنى لها، وقواعد لا محل لها من الإعراب، وكأن اللغة ماتت منذ عقود. فلا يعيش في ظل مملكتها الا من يهواها ويعبد جمالها الصارخ بكل معاني الأنوثة والرقي ،العزة لله! جنة متجسدة في جسد بشر.

استرجعت أنفاسها وتشوهت نشوتها بعد أن إنفجرت لتستشعر قوتها مجددا بعد أن كانت أسيرة غريزتها، ظننتها عن الأكل ممتنعة وإذا بها تطالب بالمزيد. جعلتني أصلي راكعا لها، وبعد تفكير طويل دام مئة عام من العزلة، قررت أن تفتح لي بوابة سيقانها لتتوجني ملكا لمملكتها..

استيقظت من سبات عميق بعدما تقلبت في أحلامها الحميمة وأخذت تتحسس فراشها بنعومة فائقة تأجج فيها الشهوة ، تحترق لأجل جسد لا يقوى على مضايقتها ، بل يفلح في جعلها تقذف كنافورة وتقلب عينيها للوراء مرتعشة وتعض على شفتيها كأنها تريد المزيد ، تلعق حلامتيها في وقت لا أرى وجهها من فرط اندماجي، حتى ذابت لأول مرة بين أحضاني تتقلب بين ذراعي كدمية وغرقت في منيها غرقا ك أل فرعون.

الحجر الواحد لا يحدث شرارة ، عبثت بأصابعها بين فخذيها تبحث عن جهنم وقودها الألف واللام ، حركت فلحتها وداعبتها لتحدث الشرارة ، أغمضت عينيها مجددا وراحت تستحضر واقع إفتراضي عسى أن تصل لرغبتها ، فلم تفطم إلى أن استسلمت بعد تأوهات وتأوهات وصارت غائصة تسبح في الأنهار التي تجري من تحتها....

المطر

يوم ممطر، أمر لطيف طال انتظاره، مع ذلك وككل شيء جميل يحدث معي لابد أن أجعله باهتا بأفكاري المثيرة للغثيان، ف بالقدر الذي سأستمتع بمنظر المطر وهو يغسلني من الداخل بالقدر الذي سيزداد فيه السواد بداخلي وأنا أفكر لحال الذين سيؤلمهم هذا المطر، الفقراء الذين لن يقيهم من البرد سوى دعوات أمهاتهم الصامتة، الفقراء الذين سيتنهدون كل صباح قبل الخروج بأحذيتهم الممزقة وملابسهم البالية لمواجهة الصقيع والشياطين الأدمية، دون أن يفقدوا جزءا منهم، الحزانى الذين سيبتسمون لأن الووضع يزداد سوء ليس إلا.. لكن ما قيمة الحزن إن كان حزن الفقراء؟ أما حزن الأسياد فترف يحلم به الضعفاء كل ليلة، ما المطر بالنسبة لهم؟ شيء جميل ينظرون إليه من داخل سياراتهم الفارهة وفرو معاطفهم الغالية! وقد تجود عليهم الطبيعة بمنظر غريب لرجل حزين يجري ببطء ليختبئ في مكان لا يصله المطر، لكنه يسقط في منتصف الطريق وترتطم عظامه الهشة بالرصيف! منظر مخيف كهذا قد يكون موضوع سخرية للأسياد في الأمسيات الباردة وكؤوس النبيذ تجلس بفخر في أياديهم اللينة الدافئة...

أكتب هذا وصوت الرعد يزداد رعبا، وكأن الطبيعة تؤكد بصوت مسموع ما أكتبه، بعد الرعد تسقط قطرات باردة غير مفهومة، هل تبكي السماء حزنا على الذين تحدثت عنهم أم أنها هي الأخرى ترغب بشدة في رؤية الرجل الذي قسى عليه الرصيف وكسر بعض عظامه؟

المدينة المنكوبة

أعود الى البقعة السوداء بعد غياب طويل، المدينة اللعينة، الفقراء هنا لا يتغيرون، وجوههم القبيحة لا تتغير، عاداتهم المريبة لا تتغير، رائحتهم لا تتغير، مهنهم الحقيرة لا تتغير، نفس الفوضى ونفس الخراء، سيبقون هكذا حتى النهاية! لا يتغير هنا سوى حجم مؤخرة بناتهم! البنات هنا كالبقر، يتم تعليفهن أكثر من اللازم عن قصد، البنات هن حبل نجاتهم من الورطة التي وضعوا أنفسهم فيها!

كان أول من التقيت به هنا صبية كنت أساعدها في دروسها حين كانت في العاشرة، هي الآن امرأة، حيتني بخجل ومرت كنعامة متكبرة! راقبتها، ماذا حدث بحق الجحيم! انها امرأة حقا! كيف يحدث هذا؟.....

ينصحونك بالإستيقاظ باكرا لأنه مفيد،يشبهونه بالدهب !!أي دهب ستجده في هذه المدينة القذرة؟الصباح هنا لعنة ولن يغفر لك الرب أبدا الإستيقاظ أبداا ،تبدأ صباحك بوجوه مكفرة عابسة تحدق بك كأنك عدو لهم وكأنك السبب في إحتلال أوكرانيا،لا أحد يتركك وشأنك هنا ،تصادف في طريقك حاوية أزبال كبيرة يستمتع بها ذلك الطائر القبيح، ابن الق*بة يلتهم أمعاء الدجاج كأنه يأكل السباغيتي في فندق فخم، بجانبها يتناول عمال البناء وكل رجل حكم عليه بالشقاء فطورهم! البيض والبيصارة والخبز، فطور صحي كهذا سيساعدهم على مواجهة بقية اليوم، المجانين والمتشردين يراقبون الجميع من بعيد ويدخنون أعقاب السجائر،
ويتحدثون مع جماجمهم، لا يعرفون ما يعنيه أن تتناول وجبة الافطار وأن تستيقظ باكرا لأنهم لا ينامون أصلا! فلننتقل الآن الى تلك الفئة اللعينة المزعجة، المتسولون لا أحد يستيقظ قبلهم، حتى الموظفون المساكين لا يستيقظون في مثل ذلك الوقت، لا أدري في أي جحيم ينامون، يتركون ذلك المكان ويخرجون دون أن يغسلوا وجوههم وأفواههم النتنة، يتجولون في الشوارع كالأموات، لا يهمهم مزاج الناس ولا ظروفهم، يطلبون الجميع، لست شخصا سيئا لكنني لا أطيقهم، يقف أمامك كلعنة لابد منها، كلام غريب يخرج من فمه، يطلب مالا تشير له بيدك لينصرف حتى لا تنفجر في وجهه، يغضب ابن الق"*ة ويهمس شيئا، دعوة ما،لغة لايفهمها أحد طلاسيم أو شيء من هذا لا أدري، ثم ينتقل للشخص الأخر...

...يتبع

هذه المدينة تنتظرك بشوق لتستيقظ حتى تستمتع بتعكير مزاجك! وكثيرا ما تفلح في ذلك! مدينة الأزبال والكلاب الضالة! مدينة المتسولين والأشكال التي تسد النفس!

المزيد والمزيد من الهراء...

إنه الثانية عشر ظهرا إستيقظت معمشا، ساخطا، أشتم أي شي وشخص مر من آمامي أجد صعوبة في الإستيقاظ كل صباح أحتاج لبعض القهوة لأتمكن من الإستيعاب... أرتدي أي شيئ أنا لا أهتم وأعرج خارج المنزل ك كلب طُرد من عرس الكل يحذق بي.

يتبع..

المرء لا يموت مرتين لذلك نعتقد دائما أن عقارب الساعة تزيد بنا للأمام ، ففي الحقيقة هي تعود بنا للوراء رويدا رويدا ولن نستفيق إلا في لحظة يقررها لنا القدر اللعين فندركها متأخرة ، وندرك معاها أن الزمن يمر كسيجارة مشتعلة كلما نفثت منها نشوة تضيع كمية كبيرة منها ولا تفطن حتى يلسع عقب السيجارة سبابتك فتتنفض منها مذعورا كأنك لم تستمتع ويبقى لك سوى الألم ورائحة كريهة تمقت كل من مر بجوارك أحيانا يتقيأ وأحيانا تتأجج له رغبة في التدخين لكن لن يختلط في الزحام وسيبقى وحيدا في آخر الصف برئة محترقة لا تساعده على أخذ نفس عميق ليعيد ترتيب حياته من جديد ، وهكذا يظل الغافل في حرب ضد الوقت قد ينقذه قدره وقد تغرقه الحياة في الملذات وينسى الحقيقة وينسى معاها كسب أشياء تعود عليه بالنفع فيصبح من الخاسرين الضائعين وسط تخت الناس وفضلاتهم..

أنا شخص ينام بصعوبة ويستيقظ بصعوبة،وكي أتمكن من النوم يلزمني القيام بالعديد من الطقوس ...أدخن علبة السجائر الرخيصة الخاصة بي التي مازلت لم أدفع تمنها عند "با صطوف" وأدخنها بهدوء كهدوء طفل حين يتبول...أفتح كتابا،هناك دائما كتاب ما بجانبي،أقرأ منه صفحات ولا يهمني إن كنت قد قرأته من قبل.وبعدها أبدأ في شتم أي شيئ
نفسي،رأسي،عقلي،أفكاري،الجيران،التافهون فالفايسبوك،الحمقى الذين إلتيقت بهم في الشارع،المخمورون أمام منزلي طول الليل وكلامهم وأغانيهم المزعجة...
أصنع لنفس بريق من القهوة كل ليلة وعادة ماينتهي بها المطاف في البالوعة لأنني دائما أتذمر من طعم القهوة،يجب أن يكون طعمها كما تخيلته داخل عقلي...

يمكنني، بعبارات قصيرة، أن ألخص جزءا كبيرا من اضطراباتي ومعاناتي في هذا العالم؛ في الليل أتناول أقراص المنوّم لأنني أريد أن أنام. لأنني في حاجة إلى ذلك. ولكنني بالكاد أنام؛ لا يدعني عقلي أغفو قبل الفجر. وفي الصباح علي أن أبالغ في شرب القهوة لكي أتخلص من الخمول الذي يسببه المنوّم حتى أبدأ يومي وأستطيع مواءمة المجتمع ومتطلباته وتوقعاته، وحين أعود إلى سريري، في المساء، أعجز عن النوم لإفراطي في شرب القهوة خلال النهار، وهكذا أدور في هذه الحلقة الملعونة إلى ما لا نهاية. وعلي، بعد كل مرة أعدّ فيها القهوة، أن أنظف الموقد بسبب شرودي المبالغ فيه..

بلد غير صالح لتربية أبناء أو حتى ممارسة الجنس فيه بغرض الحصول على أطفال...

الحافلة

توقف الحافلة التي كانت مملوءة عن أخرها،الحافلة لم تعد تحتمل،ولاكنها تقاوم وتصارع الزمن ،مثلنا نحن البشر،توقفت الحافلة المتهالكة وتوقف معها قلبي ورئتي،بدأ الركاب في التدافع من أجل النزول،لم يكن أمامي خيار إلا التدافع معهم من أجل النزول،إنكمش معطفي من شدة التزاحم ،وتعرض حدائي الأسوود للدهس مئات المرات ،كنت سأختنق من شدة الروائح الكريهة التي تُحيط بي ،تحركت بسرعة وبقوة للأمام في اتجاه الباب معتذرا طول الوقت لأفعال إرتكبتها ولم أرتكبها،كم من مؤخرا إحتككت بها وكم من جسد إصطدمت به غن غير قصد من شدة الزحام...

يدي اليمنى محشورة في جيبي تتمسك بهاتفي وبعض النقود لكي لا أفقدهم ،اللصوص أبناء لأحبة يتربصون طول الوقت ينتظرون ضحيتهم ...

الحمد للرب لقد نزلت ،توقفت لألتقط أنفاسي،فتحت علبة التبغ الحمراء وأخرجت السجارة الأخيرة فيها ،ودعت العلبة ورميتها،بدأت أنفث دخان سجارتي بعنف في كل الاتجاهات ،أعصابي تسترخي والإبتسامة البلهاء تعود رغما عني لوجهي ...

يتبع...

لن ينتهي البؤس أبدا...

البؤس الذي أعيشه كان موجودا قبل والدتي! وما حدث هو أنني كنت محظوظا وعثرت عليه! لم يكن ذلك صعبا على أي حال، كان واضحا في كل شيء رأته بعيني!! فـي جيبي المثقوب،في حياتي البائسة،في طريقتي تفكيري،تعامل الناس معي،في وحدتي،في نظرة بائع السجائر، في بكاء أمي وصمت أبي...هذا البؤس هو أملي الوحيد في الحياة! به أتنفس وبه سأختنق

أنا !؟

داخل غرفة مظلمة صغيرة،في وسط الأغراض والكتب المبعثرة في كل ركن منها،أخرِج رأسي الذي إلتهمه الشعر ،الكثير من الشعر والأفكار،إستيقظت معمشا ساخطا نظرت بإستحقار لتلك الأوراق وأقرأ ذلك الخرااء الذي كتبته ليلة أمس وأنا مخمور،مزقتها كلها بغضب...أخدت أبحث عن علبة السجائر خاصتي في تلك الفوضى،لم أجدها،ألقيت بكل تلك الأغراض من النافذة الصغيرة،كتب قديمة،جرائد،ملابسة باهتة،علب السردين،قطع خبز متهالكة،وقارورات بيرة...لم أجد السجائر!!...كدت أجن،جلست أحدثُ الجرذان التي تقطن تحت سريري،من منكم أخذها؟؟لدي فأس أيها الحمقى ،أخبروني أين هي ؟؟

خرجت كثور مجنون لأجلب الفأس اللعين،وضعت علبة السجائر التي كانت في يدي طوال الوقت فوق السرير وأمسكت بالفأس وتوجهتُ نحو الجرذان اللعينة الصماء،وقبل أن أطبق حكم الإعدام فحق عائلة الجرذان التي كانت تواسي وحدتي،خُيل لي أن أحدهم يُحدثني وأخبرني بأنني تركتها فوق السرير ،إستدرت ووجدتها ،تنهدت وغمرتني السعادة،توجهت نحو العلبة وجدتها فارغة!قلبي توقف،عجزت عن الحركة....

لقد دخلت في غيبوبة وأخر شيء فعلته أني شتمت كل شيء موجود في الكون وخارجه...

إنها الثالثة بعد منتصف الليل،تحت سقف غرفتي المتهالك أدندن كعندليب متعفن،أفكر في كل تلك الجرذان التي تتناكح تحت سريري،وتتكاثر في هدوء كالأزبال في الحاويات..وتلك الصراصير التي تنهش طبق عشائي ،بصقت على الورقة أمامي،كل كلمة كتبتها كانت دنيئة بشكل مستفز،كيف يمكنني أن أكتب عن قذارة العالم وبؤسه ولا أحد يستجيب !!ولا أحد يشعر بالشيطان الذي بداخلي ..لا أحد يُحس بتقلباتي ووحدتي غير سيجارتي وكأسي الذي يحتوي على لقليل من لبيرة لم أدفع تمنها بعد،حتى حبيبتي التي وعدتني أنها ستبقى معي وتحبني للأبد ،رحلت لأنني نسيت يوم عيد ميلادها خخخ يالها من حمقاء عبيطة،إسمي لا أتذكره ومنزلي غالبا ما أنسى طريق العودة إليه فكيف سأستطيع أن أتذكر يوم ميلاد بئيس حقير ،أي ميلاد في هذه الأرض الحقيرة ؟؟نحن نموت هنا رويدا رويدا ،لا أحد يمكنه أن يحتفل بعيد مولده إلا إذا كان حقيراا منافق شيطان يجب قتله...

أغلقت الباب الخارجي بعنف، الجارة العجوز تصرخ وتلعن، أشرت إليها بأصبعي الأوسط واستمررت في السير بسرعة، حينها تذكرت بأنني لا أملك وجهة لأقصدها فتوقفت...

توقفت أبحث عن علبة السجائر في جيب المعطف، لم أجدها تبا، البيت الحقير! ابن العاهرة لم ينبهني بأن السجائر سقطت مني.

كثور هائج عدة للبيت وركلة الباب وكسرته، دخلت الغرفة بعنف لأبدأ في رمي الأثاث من النافذة،

لم أجد شيئا، كان البيت فارغا إلا من المرآة المكسورة التي ألمح فيها روحي وأفكاري المبعثرة، فتحت باب غرفتي فوجدتها هي الأخرى فارغة، لا سرير ولا وسادة، ولا حتى قطعة كرتون، صدمت مرة أخرى، لم أجد شيئا لأرميه من النافذة فرميت نفسي...

لطالما كنت شخصا منغلقا على نفسه، حلزونا حزينا يرفض الخروج من قوقعته، أخرج فقط في الظلام الدامس، أحمل أوراقي وهيكلي العظمي وأسير في الشوارع، أكتب عن الثقوب والدموع والأشباح المحطمة، ألمس الأرواح المتعبة بقلمي وأعيد لها حيويتها وعنفوانها، أشفي الجراح الغائرةفي أقدام الأطفال الحفاة، أنفض الغبار عن عيون الأرامل والجائعين.. حياتي كلها تشبه رغيفا محروقا، أنا متعب، متعب من نفسي، من إصراري على أن أكون أنا، متعب لأن أحدا لم يحس بأي شيءاتجاهي، أنا كتلة عظام ساذجة... تشرق الشمس وأعود لقوقعتي، ألملم شتاتي وأرمم الثقوب في هيكلي العظمي،وأعتذر لنفسي وأنام.

أما القمر شربت منه حتى ارتوى جوفي الظمأ ، فبسطت ذراعي أستقبل بزوغ الشمس بعينين مفتوحتين محذقتين في زرقة السماء وبياض الغيوم ، وأحطت بي أوراق نباتية مختلفة الألوان تصر الناظر بصره وأطعمت مسامعي بشكوى الطيور أو ربما كان غناء ، نظفت رئتي بنسيم عليل ، وعلى رأسي ترقص فراشات بألوان مبهجة ، أصبح الدهليز طبقتين فوق الأرض والسرداب ، نوافذ عريضة تطل على البحر والمدينة ، والدش متفاوت الحرارة حسب الفصول يهبط منه رذاذ بماء الورد والكولونيا ، وعلى السرير قطة شقراء تحت بجاد أبيض تستر به زبدة فخذيها وفاكهة صدرها يفوح منها عطر نفاذ يأخذ لآفاق بعيدة ، أما الليل لا يأتي دون مصابيح فهو دائما يستقبل أناسه على حين غرة كما استقبلتني الأرض بما رحبت وغرزت ، ومزال في حياتي ما يروى..

بماذا أصف لكم حياتي السابقة ؟ فلنصفع وجه الشمس أولا ، في البداية كانت دهليز مظلم في أعلاه شرفة صغيرة يتسلل منها ما سمحت به للنور ، منشفة بيضاء ولوحات بألوان عميقة توحي بالوحدة والصمت ، سرير هش لا يتسع لشخصين وأعقاب سجائر بجانب قارورات نبيذ متراسة ، الريشة والقرطاس وأوراق ممزقة لا يحدثون بعضهم كأنهم في صراع لأجل الحكم ، ساعة بعقرب واحد والعقرب الثاني هجرها رفقة بعض الأرقام مثلما تهجر الزوجة من قبل زوجها وأبنائهما معا عقابا على تسلطها وأنانيتها في السنوات الفائتة معتقدة أنها متحكمة في كل زمام الأمور ، مرآة مضببة مكسورة على طلتها كلمات متقطعة مكتوبة بأحمر الشفاه ، كل الأشياء تفتقر للألوان فمن استطاعت أن تكون بيضاء كانت ، والباقي كسواد فحم غاب عنه الإشتعال ، ليس هناك جيران ولا حياة تحيط بي سوى ذبابة وصرصار كانا رفاقي في السكن ..

...يتبع

جلست في غرفتي العتيقة أنفث دخانا كثيفا يجعل أعصابي تسترخي،أحتسي ماتيسر من البيرة ،أشاهد قطرات المطر تتسرب عبر الزجاج وأتأمل سواد وحزن السماء،وأذناي صاغية لأغنية "دراااغانوف" يقول في مطلعها "عيينا مانداافعو ،لڤيدا عاصية مانفعوني لاضلوعي لاكتوب.."

خذتني مخيلتي في تفكير عميق حول مايحدث فيالعالم! المعارك والأوبئة والمجاعة وغلاء المعيشة..لأتسائل بعدها ما الهدف ؟من المستفيد؟ما هو ذنبي في هده المجازر!

دقائق صمت في رأسي،أخدني خيالي الخصب المنتشي بالبيرة إلى ما قبل السبعينيات لأرى نفسي شيخا اشتعل رأسي شيبا أتكئ على عصاي أرتدي جلبابا وأمامي صينية نحاسية وإبريق يلتقط شكلا بشعا لوجهي..بعد كل هذا إبتسمت ورددت بصوت مرتفع"العالم مقووووود وغادي وتيقواااد وهادشي مزيان..."

أجلس حزينا، عاريا، أنظر الى بطني وأدندن مع أم كلثوم، هذه ليلتي! أدندن كعصفور مريض حتى لا أفكر! هذه ليلتي ولن أفكر! لكنني أفكر، أفكر في كل شيء، في بؤسي، في ديوني،في أبي وأمي،في دراستي،في وحدتي،في كسلي ،في تلك الكلاب التي تتضاجع تحت البيت، في النمل الذي يتغدى على حيواناتي المنوية المرمية في جدار الغرفة، في صديقي المتشرد وأوجاعه! يؤلمني رأسي وأعود لأم كلثوم، أم كلثوم العظيمة! أدندن معها وأطرد كل تلك الأفكار اللعينة! بومة لعينة تفسد مزاجي بصوتها البشع! شتمتها وطارت، كلثوم لم تتوقف عن الغناء، فتحت النافذة، يبدو الرصيف بعيدا من هنا! ماذا أنتظر؟ أغلقت النافذة، تبا! صنعت لنفسي الكثير من وقت الفراغ لمجرد أنني فكرت في انهاء الأمر، لن يلومني الله، أعرف ذلك...

ناذرا ما أجلس في المقهى صباحا، لكن قدر الله ما شاء فعل، يكون كل شيء بخير حين ينفرد المرء بقهوته وسجائره، أدخن، جهازي التنفسي يعود الى طبيعته، كل شيء يعود الى طبيعته، لكن ليس لوقت طويل، فقد التحق العاطلون بالمقهى، والعاطل يجلس في المقهى مرتين في اليوم، صباحا، حتى يوهم أمه أنه يستيقظ باكرا ويخرج للبحث عن عمل، ومساءا ليوهم نفسه أنه قد فشل في ايجاد عمل في الصباح وأنه يستحق فنجان قهوة يقضي به بقية اليوم في المقهى ليتفادى نظرات والده! لكنهم أناس مؤدبين، لكن لا ينصح بوضع علبة السجائر فوق الطاولة بحضورهم!

ها أنا منغمس في مستنقع الدنيا البائس ،لا أحب الحياة والمصيبة أني لا أعمل للأخرة..أتمنى أن يصيب الدكتور هذه المرة وأصاب بمرض خبيث يُكفر ذنوبي ويحعلني أتقرب إلى الله..رأسي يؤلمني وأشعر بالدوار والغثيان ،أتمنى أن تكون هذه بدايات الورم الدماغي على أن لا تكون مجرد أعراض جانبية لمدخن ..

أتعبني المشي والتفكير وجلست بالقرب من حاوية أزبال! التعب كالجوع لا يترك لك أي خيار أحيانا.. شعرت بوحدة ضخمة أنستني الرائحة الكريهة،وكان الرجل الممدد تحت الحاوية يزيد من ضخامتها، لم أكن أنظر اليه كإنسان مقهور بل كحيوان،ومع ذلك فهمت أنه ينام في المكان المناسب، فقد كان مرتاحا لدرجة أن مؤخرته تظهر للعيان دون أن يبالي، مؤخرة متسخة، فكرت في امكانية مساعدته، ربما ايقاظه وإلباسه، لكن وهو على تلك الحال، كان الأمر نوعا من الحماقة والجنون، قد ينقلب ضدي ويتهمني بمحاولة اغتصابه! قد تصدر عنه اصوات غريبة ويلتم الناس حولي وسأضطر مجبرا أن أشرح لهم أنه لا علاقة لي بظهور مؤخرته العفنة! وقد لا يصدقونني! طبعا لن يصدقوا قصتي، فكيف لرجل أن ينام في الشارع بمؤخرة مكشوفة؟ تبا له! وتبا لي! وتبا للمارة الذين لم ولن يكترثو لهدا الأحمق الذي ينام تحت الحاوية!وتبا للسماء والهموم التي أخرجتني أعرج بين الدروب للبحث عن نفسي ...!

القراءة

القراءة لم تكن يوما مصدر سعادة، بل أن القارئ يحكم على نفسه بالبؤس والتحقير! بالقراءة تدرك الكثير من الأمور المخيفة، أولها أن تدرك أنك مجرد حمار صغير أمامه الكثير ليتعلمه! القراءة تجعلك تدرك بشاعة العالم الذي تعيش فيه، بالقراءة تدرك مكانتك ومقامك- ما لم تكن حمارا طبعا- القراءة تمنحك ذلك الشعور المقزز الذي يجعلك تجلد نفسك وتحسابها على كل صغيرة وكبيرة! غير هذا ف أنت حمار صغير تقرأ كتب تافهة لاقيمة لها ولا وزن لها..

افترقنا دون وداع، دون همس ودون وعد بلقاء آخر، حملت حقيبتها ورحلت دون أن تستدير! تركتني كقنفذ بليد خانته أشواكه، كنت أعلم أنني قد فقدت شيئا في تلك اللحظة، أخذت أعد أصابع يدي وأعضائي، كل شيء في مكانه! ماذا فقدت؟

حشرت نفسي في معطفي وتركت رجلاي تسيران نحو المجهول، ألكم الريح تارة وأركل الحصى تارة أخرى! صدى كلماتها يتردد في كل مكان، الشوارع والأرصفة تخبرني أنني فقدتها للأبد! وأنني قد وضعت رجال في قبري منذ اللحظة التي تركتني فيها،لقد فقدت جزءا من روحي، جزءا كبيرا...

أنتِ

لأنكِ تتركين شعورًا عذبًا في كلّ مكان تذهبين إليه، تمرّين بخفة كفراشة، أنتِ يا حيلة العاجز، يا صاحبة الرّوح النقيّة، المُبهجة، التي لا تستحق ولو لحظة حزنٍ واحدة، أتمنى من الحياة أن تعاملك بالمثل لا أكثر!

أريدكِ أن تعلمي أنك أجملهن،فعطر الطيبة فيك فتان،دمتي شامخة كزهرة عباد الشمس،تواجه الشمس بكل قوة.

رهبة وجودها بالقرب مني كانت واضحة في ملامح وجهي، كنتُ سعيدا وترجمت سعادتي بإبتسامة بلهاء، شعور غريب لم أشعر به منذ مدة، قلبي يخفق بشدة،

يدي تحاول بيأس أن تمسك يدها الصغيرة، حاولت أن أظهر بشخصية الكاتب العصامي المحنك فقلت: كنت أنام في هذا الشارع! هذا الشارع كان بيتي! استغربت وغرغرت عيناها الجميلتان، أمسكت بيدي وقالت: المهم أنك لم تعد تنام هنا! ابتسمتُ: معك حق، الشارع الأخر أحسن من هذا، شارع نظيف ولا يمر منه كلاب المخزن

دعي تلك الأحزان والذكريات السيئة البائسة، تعالي معي نحتسي النبيذ الأحمر الذي تحبينه..نحتسي نهرا من النبيد و نسكر.. نشاهد أحلامنا على حافة المنزل المهجور دائما كنا نتسائل لماذا سيترك المرء منزلا كهذا ويرحل بعيدا!!؟ ستباغتنا الشرطة كعادتهم ..سيكبلوننا و يرمونا وراء القضبان داخل تلك الزنزانة الباردة التي تفوقها برودة أعصابي ، لكنني لن أرضى لكِ قيدا أنتِ التي لطالما كنتي حرة طول حياتك.. حتى قلبي ما كان إلا ملاذك المؤقت تدخلينه متى شئتي و تغادرينه متى ارتويتِ من عشقي.. يمتلئ قلبي بك و يخلو منكِ متى ما غبتي وتركتيه مهجوراً..

حينما تعجب حسناءٌ بمنشور من منشوراتي، فإن هذا يعادل حصولي على نوبل؛ أتصفح حسابها شبرا شبرا، وأدقق في تفاصيل صورها -خصوصا الأثداءْ- وحينما يتأكد لي، بكل مرارة، أنه لا سبيل إليها ولا فرصة لبدء حديث معها، أغادر صفحة الفيس بوك، وأشعل سيجارتي وأشتم حضي ومن يغتزلون بها فالتعاليق والمنشورات...

أول واخر موعد لنا ..

كان لدي معها موعد لبارحة،ذهبت لألتقي بها أمام منزلها، وما إن رمقتني عينها حتى هوت على الدرج تتدحرج في منظر بشع يسخر منه ، ظلت قابعة مكانها بينما كنت أنفث سيجارتي فاختلط علي الدخان والسخرية حتى صار الزكام رفيقي في تلك اللحظة ، ساعدتها على النهوض واعتلينا مقدمة السيارة مخلفين وراءنا الغبار والكبار أما الصغار فلا يعنيهم المشهد في شيء إلى حين أن يسترقوا منه لحظة ، وضعت هي أحمر الشفاه وبعض من مساحيق التجميل على بشرتها الصفراء ورشتين من عطر نفاذ أخذني لآفاق بعيدة ، فباتت الطريق ضباب على عيني اللوزيتين ولم يعد بمقدوري الالتفات غير ما أراه من جسدها العريض فتدافعت إلى مخيلتي لحظات حميمية لا يعد فيها وقت بل يغيب فيها الشعور والاحساس غير السعادة العارمة التي غمرتني وانتشت روحي طربا على إيقاعات ماجدة الرومي وصح تعبيرها ب "يسمعني حين يراقصني ... كلمات ليست كالكلمات" وغروب الشمس يزيد للجو روعة وولعة ورغبة جامحة.

على رسلنا جلسنا على أريكتين موضونة متقابلان يطوف علينا الندلاء بصحون فارغة وتارة مزينة بمشروبات مختلفة ، تنهدت في حبور وخلعت نظارتها وتراجعت بظهرها للوراء وكأنها وأخيرا بعد طول عناء البحث وصلت إلى مرادها ، ابتسمت بثغرها الأحمر ثم قالت بصوت هادئ ، "حدثني عن نفسك" ، ساد صمت لهنيهة ولسان حالي يروي حياتي باختصار،مع دلك الكلام لم أكن أصغي لها ولي،كنت في لهفة جامحة كي أمسك نهديها المعقبتين أو أظفر بحظن طويل يغذي عاطفتي الجياشة "...

لدي موعدا معها في الغد. وانا اتصور شكلها كيف ستكون غدا اكثرا جمالا من اليوم وأشد حسنا من البارحة من الممكن انه تفكر في اغرائي وسلب مقلتي من كل فتاة اخرى في موعدنا ذاك لكن لا تعلم انها سلبت عقلي منذ ان رأيتها للمرة الأولى، اما انا سوف اذهب اليها دون ترتيب فقد احبتني هكذا بشعر مجعد وأسلوب في اللباس قديم وتعلم جيدا اني لست مرتب المظهر و اني حسن السلوك والافعال معها. وكتسريب لكم عن لقاء سوف ادشنه بعناق يدوم لمدة تلتف الساق بالساق حد اتحاد الاجساد...

نعيش في مرحلة يتحتم علينا أن نترك كل خرائنا جانبا ونتحد جميعا لنحفظ ماء وجهنا ونحارب العصابة التي تتحكم في طريقة عيشنا! ان كنت كاتبا فاترك قصص الحب والاندلس والحروب القديمة واكتب عن واقعك المخجلان كنت رساما فابتعد عن رسم المؤخرات وناروتو وارسم الفقراء والمتشردين في الأزقة ،ان كنت مصورا فاترك الورود والطبيعة جانبا وصور الازبال والانتهاكات والظلم الذي يمارس على الضعفاء ،ان كنت شاعرا فدع عيني حبيبتك وثديها جانبا واكتب اشعارا ثورية ليستيقظ محيطكا ،إن كنت شخصا بسيطا فافتح كتابا يا ابن القح*بة.

الفن (أيا كان نوعه) يمكنه أن ينتظر دائما، والأولوية للكرامة! دافع عن كرامتك أولا!

حلم غريب

في حلم غريب ليلة أمس، رأيت أنني كنت شخصا آخر
غير ما أنا عليه الآن، شخص جدي يرتدي بدلة أنيقة
ويتحدث بأدب! رأيت أنني كنت أحدث الوالدة وأخبرتها
بأنني أنوي الزواج! وقبل أن ترد دخلت في موجة
هيستيرية من الضحك لدرجة أنني استيقظت من النوم
ولم أستطع التوقف عن الضحك!
قمت من مكاني ودونت في مذكرتي ما يلي :
فكرة الزواج مضحكة ومقززة جدا

عيد الحب

يمكن تفسير عيد الحب في المغرب في المشهد التالي:
رجل فقير يستغنى عن عشائه الحقير لكي يهدي لحبيبته الفقيرة هدية حقيرة،ويخيل له أنه سيمضي ليلة ملكية في الجنة،وسيلمس عذريتها ويفتك بها،ويخيل لها أنها ستمضي ليلة مع رجل شهم سيلبي كل رغبتها في المستقبل...

الحب

وُجد الحب ليزيّن دنيا المُحبين، ويمنح للروح الحياة، فلا شيء أجمل من الحب إن كان نهراً عذباً يشرب منه العاشقَين، ولوحة مبهجة يرسمانها بفرشاة الأمل، وعلى الرغم من ذلك فإنّ لبعض البدايات نهايات، وفي بعض الحكايات منغّصات قد تعكّر صفو الحب أو تلقيه صريعاً، إلّا أنّ ذلك قد يكون فرصة لولادة طيف حب جديد فعلينا ألّا نيأس....

الحُبّ لا يحدُث حتمًا من أوّل نظرة، ولكنّ النظرة الأولى تكفي لاكتِشاف من تربطهم بنا صِلة روحية عسِيّة أنّ تصير الحُبّ نفسه، أليس يقولون أنّ الأرواح تتخاطبُ بغير إحساسٍ البتّة، فنظرةٌ واحدة تبلغُ بِالرّوح فوق ما تُريد، أمّا الحبُّ الذي تلدُه الأيام وتُنبّهه المُعاشرة، فمرجِعه على الغالِبْ العادة أو المنفعة أو غيرُهما من القِيم التي لا تُدرك إلا بالرويّة و الإمْهال...

جلت شوارع الخميسات أحاول بيع قصيدة حب، راقبت بائع الورد وحاولت تقليده، أقترب من العشاق، أبتسم، تماما كما يفعل، لدي قصيدة حب للبيع، بخمسة دراهم فقط!

حاولت لساعات وفشلت، لم أبع حتى كلمة، وبائع الورد باع كل الورود وانصرف، حتى تلك التي سقطت منه وداس عليها رجل حزين!

الأحياء لا يفهمون في الحب، لا يعرفون ماذا يمكن أن تفعله قصيدة حب في قلب الانسان! لعنتهم وجربت حظي مع الأموات، دخلت المقبرة في الليل، عامود الكهرباء ينحني خجلا، تحته ينام شبح سحقته الأيام واستنزف الذباب ما تبقى له من جهد، اقتربت منه، سعال خفيف جعله ينتبه لوجودي، لدي قصيدة حب للبيع، همست! قصيدة حب! رد باستغراب! نعم قصيدة حب جيدة لم يكتب مثلها أحد من قبل! طلب مني الاقتراب وفعلت، طلب مني أن أنظر جهة الباب وفعلت، وفي لحظة سهو لكمني ابن القبحة بكل ما أوتي من جهد ووقعت أرضا، ومن قوة اللكمة وجدت نفسي أجري كالمخبول وغادرت المقبرة اللعينة!

عدت الى البيت بخصيتي حنين، في الطريق اكتشفت أن القصيدة قد ضاعت مني!

يوما ما سيقال عني لقد مات ... يومها غالبا سيجدونني
في دلك الصباح المضجر ككل الصباحات التي تتلو
ليالي السهر الطويل ،سيجدونني محشور على نفسي
فوق السرير لا أحرك ساكن حينها سيعلمون أنني قد
رحلت،حينها تأتي أمي وتحاول طمأنة الأجواء بقوة وهي
تقول"لا فقط إنه نائم كعادته،هو لايصدر صوت حتى
أثناء نومه"لن تستسلم وحتى بعد أن تهز كتفي،كان
بوسعي الإستيقاظ بعد أن رأيت حزنها وإصرارها ولاكن
...ليست بيدي حيلة للاسف لن أستيقظ
حينها يدخل أبي مستسلما حائرا قائلا"إنا لله وإنا إليه
راجعون لله ما أعطى و لله ما أخذ"...سيندهش سكان
حي المتسلطون الفضوليون المقرفون بعضهم سيحزن
ولاكن حزنهم لايهمني،سيحزن صاحب البار الذي أعرج
إليه يوميا وسيدعو لي بالمغفرة وأضنه سيسامحني
لأنني لم أدفع ثمن بعض البيرات التي إحتسيتها
...عنده
أختي ستشك،هي دائمة الشك لا تقتنع
ببساطة،ستعتبر موتي لغزا هي تراااني عظيما بحقك
لايمكن للعظماء أن يموتوا بهذه الطريقة،حتى أتى دلك
الشخص أجهل ماذا أتى به في هذا اليوم!؟ أنا لا أعرفه
أصلا لاكنه يعرفني جيدا..حينها قال "لابد أنه إنتحر !!"
ويدخل صديقي مقاطعا لا لا يمكن أن ينتحر .. ضحكنا
أمس حد البكاء .. فكيف سينتحر؟ لكنه يجيد إخفاء
أحزانه وراء تلك الإبتسامة

يتحدث أبي مقاطعا ذلك الحديث "سندفنه بعد صلاة الظهر"،

سيأتي الظهر بسرعة سيحملونني على الأكتاف كطفل صغير يتجه إلى مسكنه الأخير،هذه إبتسامتي الأخيرة قبل أن يلمس التراب كفني .. حينها أدركت عمق وحدتي في تلك الحفرة المظلمة يجب أن أعتاد عليها...يجب أن أعتاد..

هاا أنا أسمع خطاهم فوقي وهم ذاهبون،لم يأتي إلى جنازتي المتواضعة أناس كثيرون إنهم لن ولم يحبونني قط كنت شخصا نكدي وصريحا جدا مع أنني عرفت بإبتسامتي وهدوئي وغضبي بعض الأحيان....

أظن أن هذه النهاية....